العالم المجاهد

حمد الحميدي

للشيخ الفاضل:

عبد الله بن ناصر الرشيد

عبد العزيز الطويلعي

تقبله الله



العالم المجاهد

"حمد الحميدي"

للشيخ الفاضل:

عبد اللّه بن ناصر الرشيد

(عبد العزيز الطويلعي)

تقبله اللّه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[العالم المجاهد "حمد بن عبد الله الحميدي"]

الحمد لله الَّذي لا معقِّب لحكمه ولا رادَّ لقضائه، والصلاة والسلام على سيِّد خلقه وأشرف أنبيائه، وعلى آله وصحابته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنَّ أهل العلم هم حملة الشريعة وورثة الأنبياء، وهم أولى الناس بخشية الله، وأحقُّ الناس بالقيام على أمر الله والجهاد في سبيل الله، وهم أعلم الناس بالله عزَّ وجلَّ ووعده ووعيده، وأولاهم بتحقيق التوحيد وتجريده، وعليهم من الحمل العظيم إذا استقاموا، والعقاب الأليم إذا زاغوا ما يشاكل منزلتهم العالية ودرجتهم الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى.

وإنَّ أوَّل فساد الناس أن يفسد علماؤهم، وأعظم فتنة الناس أن يُفتنوا بأحبارهم ورهبانهم، لذلك كان لعلماء السوء نصيب الكلب من الإمامة في الكفر والضلال، كما

كان من علماء بني إسرائيل حين ضلُّوا، وكثيرٍ من علماء هذه الأمَّة حين حَذَوا حذوهم حذو النعل بالنعل.

وإذا كانت نماذج علماء السوء الَّذين باعوا دينهم بثمنٍ بخسٍ أكثر من أن يُضرب لها مثلٌ؛ فإنَّ نماذج العلماء الصادقين الصادعين بالحقِّ أقلُّ وأظهر من أن يُحتاج إلى ذكرها وبيانها، فإذا ذكرنا من عاصرناهم بالأمس القريب فإنَّنا لن نستطيع نسيان أبي أنسٍ الشاميِّ، ومعجبٍ الدوسريِّ، وعبد المجيد المنيعِ ممن استشهد، ولا عمر بن عبدالرحمن وأبي قتادة الفلسطيني[1] وعبد القادر بن عبد العزيز[2]، وناصرٍ الفهد ممن أُسِر.

والمقام الآن يستدعي الحديث عن عالمٍ صادقٍ مشهورٍ مشهودٍ له بالعلم والعمل فيما نحسبه والله حسيبه ولا نزكِّي على الله أحدًا، وهو حمد بن عبد الله الحميدي المحدِّث الحافظ، والعالم المجاهد.

[1] نذكر القارئ أن هذا كان قبل انتكاس المذكور وطعنه بالمجاهدين (مؤسسة الصمود).

[2] نذكر القارئ أن هذا كان قبل انتكاس المذكور وطعنه بالمجاهدين (مؤسسة الصمود).

ولأبي عبد الله حمدٍ الحميدي من لسان الحقِّ، ومقام الصدق، واليد الطولى في العلم، مع القدم الراسخة في الدعوة إلى التوحيد: ما يكفي لكتابة المجلَّدات عن مثله، ولو كان الله اصطفاه في الشهداء في هذه المداهمة القريبة لأرخيتُ للقلم العنانَ حتَّى أكتُبَ كلَّ ما عرفتُهُ عنه.

والعالم إذا جمعَ إلى العِلْمِ الجهادَ، وحمل كتبه على صهوات الجياد، كان من الربَّانيِّين المهديِّين، وجعل الله له لسانَ صدقٍ في الآخرين، واعتبر بحال القرَّاء الَّذين حفظ الله بهم الدين في خلافة الصدِّيق، وبحال العالم المبارك عبد الله بن المبارك، وبالإمام أبي العبَّاس ابن تيميَّة، وبحال عبد الله بن عزَّام وعمر بن عبد الرحمن من المعاصرين.

وعلى جادَّة هؤلاء فيما نحسب سار أبو عبد الله الحميديُّ فكَّ الله أسره، فكان عمره كلُّه في العلم والعمل والدعوة والجهاد في سبيل الله، فنفع الله به نفعًا عظيمًا، واسأل الزلفي ومن نفر منها من المجاهدين في الفترة القريبة جدًّا، وأكثر من خرج منها للجهاد

جاهد في جزيرة العرب، فمنهم من رزقه الله الشهادة ومن ابتُلي بالأسر، ومن لا يزال مرابطًا على أرض الجزيرة أو بلاد الرافدين.

ولأبي عبد الله فرَّج الله كربته في العلم مقامٌ لا يُنكَر، فقد أوتي فهمًا وقوةً في الاستنباط، ومعرفةً بأصول علوم الشريعة واشتغالٍ بها تعلُّمًا وبحثًا وتدريسًا.

فأما الحديث فقد كان من فرسان ميدانه، معرفةً به وحفظًا لطرفٍ واسعٍ منه واستحضارًا لنصوصه مع معرفة لرجاله واستحضار لأحوال المشهورين منهم ونظرٍ كثيرٍ في تراجم الرواة وحسنِ فهمٍ للجرح والتعديل، يعرف ذلك من ذاكره في بعض هذا العلم أو سأله عن بعض الأحاديث.

وله حافظةٌ عجيبةٌ للنصوص فتعجبُ من جودة استدلاله وقوَّة انتزاعه من السنَّة، وذكره للنصوص في مواضعها ومعرفته لمعانيها وفوائدها وبيانه لما تتضمَّنه من الحكم والأحكام في عبارةٍ يسهل فهمها على العامِّي ويستفيد منها طالب العلم المتقدِّم.

وله طريقةٌ في تعظيم سنة النبي ﷺ والوقوف عند أوامره وتربية طلاَّبه على ذلك يحبُّه لها كلُّ محبٍّ لسنة النبي ﷺ معظَّمٍ لآثاره، ولا يُجالسه أحدٌ أيامًا يسيرةً إلاَّ سمعَ مئات الأحاديث التي تُقرأ عليه مع شرحه وتعليقه على ما يُشكل من معانيها وما تقتضي الحاجة التعليق عليه.

وله في علم الاعتقاد ومسائل التوحيد نظرٌ قويٌّ وعلمٌ أصيلٌ، وهو معظِّمٌ لجنابه مطّلعٌ على مباحثه وأبوابه، ويعتني عنايةً فائقةً بتقرير التوحيد وتدريسه وقراءة كتب الأئمة المحققين في مسائل التوحيد ككتب أبي العباس ابن تيمية وكتب ابن القيِّم وكتب إمام الدعوة المجدد محمد بن عبد الوهاب وبعض أبنائه.

وقد عجبتُ له أوَّل ما رأيته ثمَّ لما عاشرته وساكنته وسافرتُ معه مددًا طويلةً وأوقاتًا كثيرة مع الإخوة المجاهدين في جزيرة العرب كنتُ منه أعجب، فلو قلتُ إنِّي لم أرَ رجلاً يُفتي بالكتاب والسنَّة في غالب ما يُسأل عنه غير أبي عبد الله الحميديُّ ما كنتُ مبالغًا.

ولأبي عبد الله فكَّ الله أسره طريقةٌ من أمثلِ ما رأيتُ في حسنِ العرض وطريقة تقريب المسائل، ويعتمد في كثيرٍ من تعليمه ووعظه على ضربِ الأمثالِ الواضحة لذا يقلُّ أن تجد من يستمع إلى شرحه في مسألةٍ من المسائل ثمَّ يقول لم أفهَم المسألة، وهذا قدرٌ خصَّه الله به من البيان قلَّ أن يوجد في الناس.

وأوقاتُ الشيخ مشغولةٌ معمورةٌ بالعلم وتعليمه، فلا تكاد تراه إلاَّ في كتابٍ يقرؤه أو يُقرأ عليه، أو ممسكًا بقلمه يكتب ويبحث، فإن جلس لفسحة نفسه والاستجمام كان إجمام نفسه في وعظ إخوانه وتذكيرهم وتعليم الجاهل وتنبيه الغافل ونحو ذلك.

وميادين الدعوة إذا ذُكرت الدعوة إلى الله تشهد لأبي عبد الله بنشاطه المتواصل، وجهده المبارك، فقد كان مباركًا أينما كان، ولمَّا نزل البلدة المباركة (الزلفي) كانَت محلاًّ قابلاً وكان سببًا مؤثّرًا فأخرجت المجاهدين إلى جبهات الجهاد ونفر منها الأسود وتبدَّلت حالها بعد ظهور أصحاب المناهج الفاسدة، والطرائق المنحرفة فصار اسمها

مرتبطًا باسم الجهاد وخاصة الجهاد في جزيرة العرب، وصارت الزلفي مأسدةً بعد جهود الطواغيت في تدجينها.

ولم يقتصر نشاطه الدعويُّ على الزُّلفيِّ بل اتَّسع ليشمل ما جاورها من القرى التي كان يخطب فيها بعض الجُمَع ويُرسِل بعض طلابه كالشهيد محمد الفرَّاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره للدعوة فيها، حتَّى هدى الله أناسًا كثيرًا من أهل تلك المناطق ونفعهم الله به نفعًا شاملاً.

وكان كلَّما سنحت فرصة يخرج ببعض من يصحبه من طلاَّبه أو الدعاة إلى المدن والمناطق البعيدة فيصل إلى جنوب الجزيرة وشرقيِّها وغير ذلك من الجهات داعيًا إلى الله مبيِّنًا عقيدة التوحيد محذِّرًا مما فشا وانتشر من المفاسد والفتن.

وللشيخ فكَّ الله أسره[3] طريقةٌ حسنةٌ في الوعظ قلَّ أن تجدها في الدعاة والوعَّاظ، فوعظه إنَّما هو آيةٌ أو حديثٌ، وبيانٌ لمعانيها وشرحٌ لما تدلُّ عليه مع ما تقدَّم من

---

[3] وقد ارتقى الآن كل من الشيخين حمد الحميدي وكذلك الشيخ الطويلعي كاتب هذا المقال، وذلك على يد طواغيت آل سلول أخزاهم الله، نسأل الله أن يتقبل مشايخنا الأفاضل في عداد الشهداء (مؤسسة الصمود).

أسلوبه في ضرب الأمثال وتوضيح المسائل، وقد آتاه الله بلاغةً مؤثرةً، فلا تسمع له موعظةً إلاَّ شعرتَ بأثرها في قلبك والاستفادة منها، ومواعظه بليغة التأثير في كلِّ من يستمع إليه من عامِّيٍّ وغيره، وأمثاله قريبةٌ من الواقع مطابقةٌ لما يستدلُّ بها عليه، وهذه طريقةٌ في الوعظ والتعليم تكاد تكون مهجورةٌ من الدعاة اليوم، وهي الطريقة الربَّانيَّة النبويَّة التي يدركها من نظر في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

ويدور أكثر وعظ الشيخ حول أصل التوحيد وبيان معناه ولوازمه، كما أنَّه لا يُهمِل ما يراه من المنكرات الفاشية، وخاصة ما يتعلق بالمرأة التي نرى اليوم الحملة لتغريبها، وبداية كفار الغرب والشرق بها، ويُحذِّر من تدريسها الذي فتح باب الفتن كما كان اجتماع كلمة علماء بلاد الحرمين قديمًا، وتوقّعوا أن تجرَّ المدارس ما نراه اليوم، كما يُحذِّر من المدارس عمومًا لما فيها من المفاسد.

وقد أخذ كثيرٌ ممن يُعادي الشيخ بجهلٍ عليه تحريمه للدراسة في المدارس النظامية، ولم يكن الشيخ يحرّم أصل التدريس وصورة المدارس، وإنَّما يرى أنَّ حال المدارس وما هي

عليه من نشر الفساد موجبةٌ للتحريم، وإنِّي لأعجب ممن يُعطّلون الواجبات المتعينة لأجل المفاسد الموهومة كيف لم يُبصروا مفسدة المدارس التي يعرف كل أحدٍ منها ما يُشيب الرؤوس لأجل مصلحةٍ غير موجودة في المدارس، فإنَّها لا تُخرّج عالمًا ولا تمنح علمًا، يُضيع الطالب من عمره فيها اثنتي عشرة سنة لو كانت في علمٍ صحيحٍ خرج عالمًا بشتى العلوم، والطالب يتخرج اليوم لا يُحسن القراءة والكتابة كما هو حال كثيرٍ منهم، ولا يُحسن أكثر من القراءة والكتابة في حال الأكثر، والقليل الذي ينتفع بها لو تعلَّم خارجها لأتقن أضعاف أضعاف ما يتعلمه فيها، وأمَّا المفاسد فحدِّث ولا حرج ولولا أنَّه خارج مجال الحديث لسردنا من مفاسدها ما يعلمه الموافق والمُخالِف.

وقد نفر أبو عبد الله الحميديُّ إلى الجهاد في أفغانستان الأولى ضدَّ الروس، وتدرَّب على مختلف أنواع الأسلحة حيثُ أخذ الدورة التأسيسية في أحد المعسكرات، ثمَّ رجع واشتغل بالعلم والتعليم حتَّى كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي ميّزت الصفوف وقسَّمت الناس إلى فسطاطين، فكان من رؤوس فسطاط التوحيد فيما نحسبه والله حسيبه، وكانت له عشرات الكلمات والمحاضرات في نصرة المجاهدين والدفاع

عن قادتهم والذب عن دولة الإسلام في أفغانستان، وكان له عددٌ من الكلمات الجريئة التي دعا فيها للشيخ أسامة بن لادن حفظه الله باسمه في مساجد الرياض وغيرها، وكان من أكبر المحرِّضين الَّذين ساهموا في بثِّ روح الجهاد والعزة، وبيان أصول التوحيد وثوابت الملة، فكان بحقٍّ واحدًا من قادة الإسلام في محاربة الحملة الصليبية الجديدة.

ولـمَّا نادى مُنادِي الجهاد في جزيرة العرب كان ممن فرح بقيام هذه الجبهة ودعا الله بأن يُبارِك فيها، ثمَّ اتَّصل مع المجاهدين وقدَّم لهم كثيرًا مما يحتاجون إليه، ولـمَّا شعر أنَّ الطواغيت يكيدون له ويريدون اعتقاله كان - بفضل الله - أسرعَ منهم، وهاجر من بين أهله وبنيه وطلاَّبه ومحبّيه إلى الجهاد في سبيل الله، حيث التحق بسرايا المجاهدين في جزيرة العرب.

وإن ظنَّ كثيرٌ من الناس أنَّ المجاهدين يحمون المشايخ وطلاب العلم إذا التحقوا بهم فقد غلطوا، لا لأنَّ حماية المشايخ ليست من أعمالهم، ولكن لأنَّنا في مرحلة ضعفٍ

وحال استضعاف، ومن المعلوم أنَّ أحدًا لن يستطيع أن يُقدِّم حمايةً بالمعنى الَّذي تصوَّره كثيرٌ من الناس قبل إقامة دولة الإسلام وإزالة عروش الكافرين، لكن الَّذي يكون من العالم وغير العالم أنَّه يحمل سلاحه ويذبُّ عن نفسه ودينه، ويُقاتل في سبيل الله مؤدِّيًا لحقِّ الله عليه من الجهاد، وهكذا فعل أبو عبد الله حمد الحميدي فيما نحسبه والله حسيبه.

فقد دوهِم أحد البيوت التي كان فيها الشيخ، في مداهمة حي الملك فهد الأولى، التي استطاع المجاهدون الانسحاب فيها وقُتل أثناء الانسحاب المجاهدون: فهد الدخيل، وعواد العوَّاد، والعبد الوهَّاب، تقبلهم الله في الشهداء، وكان أبو عبد الله حاملاً سلاحه مكبرًا في ساحة القتال حتَّى يسّر الله الانحياز من موقع المواجهة.

ثمَّ دوهم بيتٌ آخر كان فيه الشيخ وهو منزل المجاهدين في عنيزة، وكان أمير المجموعة البطل بندر الدخيّل تقبَّله الله في الشهداء، وقاتل أبو عبد الله فيها قتال الأبطال

وأُصيب في يده وفي جبينه إصاباتٍ طفيفة لكنَّها عند الله عظيمة كما نرجو الله للشيخ فكَّ الله أسره.

وآخر المداهمات التي حضرها الشيخ المداهمة التي جرت في الرسِّ وأُصيب فيها وأُسر نسأل الله أن يفرِّج عنه، فحمل سلاحه وقاتل كما فعل كلَّ مرة، وهكذا فليكن العلماء أبطالاً مقاتلين، وإنَّه لحسرةٌ على القاعدين، الذين لم يعرفوا معنى العزَّة ولم يُقاتِلوا في سبيل الله فُواقَ ناقة، وإنَّ أبا عبد الله الحميديَّ لمثلٌ لمن أراد أن يبذل سبب نجاته، ولن يعدم القاعد لنفسه عذرًا إلى يومِ تُبلى السرائر.

ولئن قال قائل ممن يعدُّ نفسه من أهل العلم: قد أنعم الله عليَّ إذ لم أكن مع المجاهدين – كما قال المنافقون الأوَّلون – فإنَّ الأحرى بمن قعد أن يبكي على نفسه اليوم، حين خرج أبو عبد الله مقاتلاً في سبيل التوحيد الذي يوافقونه على الانتساب إليه، ويخالفونه عند الامتحان فيتخلَّفون عنه، خرج أبو عبد الله وقعد الَّذين كذبوا الله ورسوله، فضلاً

عمَّن حارب الجهاد وافترى على المجاهدين، والله الموعد ولا تحسبنَّ الله غافلاً عن قعود القاعدين، ولا ناسيًا لجهاد المجاهدين.

وأختم بهذه الأبيات لأبي فراسٍ الحمداني التي تنطق عن لسان حال الشيخ الآن:

تأملني الدمستق إذ رآني فأبصر صيغة الليث الهمام
أتنكرني كأنك لست تدري بأني ذلك البطل المحامي
فلا هنئتها نعمى بأخذي ولا وصلت سعودك بالتمام
أما من أعجب الأشياء علج يعرفني الحلال من الحرام
وتكنفه بطارقة تيوس تباري بالعثانين الضخام
لهم خلق الحمير فلست تلقى فتى منهم يسير بلا حزام
يريغون العيوب وأعجزتهم وأي العيب يوجد في الحسام
ثناء طيب لا خلف فيه وآثار كآثار الغمام
وأصعب خطَّة وأجلُّ أمرٍ مجالسة الكرامِ على اللئامِ
ألامُ على التعرض للمنايا ولي سمع أصم عن الملام
ومن لقي الَّذي لاقيتُ هانَت عليه موارد الموت الزؤامِ
بنو الدنيا إذا ماتوا سواء ولو عمر المعمر ألف عام